العرب
الأحد 2021/02/28
السنة 43 العدد 11985

دراما طريفة ومشوقة

رجل شرطة نبيل يريد تحقيق العدالة بأي ثمن

فيلم «سبنسر السري» امتزاج الأحداث البوليسية بالحركة والكوميديا

مافيا المخدّرات والشـرطة وأجهزة إنفاذ القانون غالبا ما تتداخل في العديد مـن أفلام الجريمة التي درجت على تقديمها السـينما الأميركية على نطاق واسـع، صراعـات المصالح والنفـوذ فضلا عن أفراد الشـرطة والمحققين المارقين الذين يتستّرون على المجرمين. كل تلك تبدو لازمة تتكرّر وخلال ذلك هناك ضحايا يذهبون بسبب فساد أجهزة الشرطة، مثلما هو الحال في فيلم "سبنسر السري" للمخرج بيتر بيرغ.

طاهر علوان
كاتب عراقي

يجسـم فيلم "سبنسر السـري" على غرار أفـلام الجريمـة واقعـا اجتماعيا مأساويا لا يصغي إلى أصوات الضحايا فيه أي أحد.

نحن هنا في ولاية بوسطن الأميركية ومع ضابـط الشـرطة سبنسـر (الممثل مـارك والبيـرغ) الذي سـوف يكتشـف تورط ضابط كبير في التسـتّر على مقتل فتاة بطريقة بشـعة ومنـع التحقيق من الوصول إلى الجنـاة الحقيقيين. ويعلم سبنسـر جيّدا بسـيرة تلك الفتاة سوى كونها مناهضة مدنية لما يجري من تفش لعصابات المخدرات وسـطوتها وتهاونٍ أجهزة الشـرطة فـي التصدي لهـا ليلة اغتيالها بطريقة بشعة.

دراما مشوقة

دفاع سبنسر عن الحقيقة يقدم صورة رجل الشرطة النبيل الذي يريد إحقاق العدالة بل هو أبعد من ذلك ربما، فهو من نوع الأشخاص الذين ينحازون للمظلومين وبدل أن يجد أي طريقة أخرى للضغط على الضابـط الكبيـر بويلان (الممثل ميكائيل غاستون) بصفته ضابط التحقيق المسؤول عن الجرائم الكبرى إلا أنه يسـعى إلى انتزاع حقه بيديه ولهذا يهاجم بويلان في منزله ويوسـعه ضربا حتى يتـم القبض عليـه ليقضي خمس سنوات في السجن عقابا على ذلك.

وفي هـذه الدراما الفيلمية وما بين الجريمة ودراما السـجون سوف يمضي سبنسـر في ما هـو مصمـم عليه حتى النهايـة، وبعد أن يتم الإفـراج عنه وفي اليوم نفسه يتم الإعلان عن مقتل الضابط بويـلان، ويجـري اتهام ضابط شـرطة صغيـر بأنه وراء العمليـة، ولإخفاء تلك الحقيقة يتم الزعم بأن الضابط قد انتحر.

ومـع أن سـجل سبنسـر فـي جهاز الشـرطة لـم يعد نظيفـا إلا أنه سـوف يمضـي في المواجهة إلـى النهاية، ولكن في هذه المرة من أجل إثبات براءة صديقه الشرطي الذي قيل إنه انتحر بعد اغتياله للمحقق بويلان. تتشعّب خيوط تلك الدراما البوليسية ليكوّن سبنسر فريقه الأكثر كوميدية وطرافة من صديق مسن وشريك في السكن هو هاوك (الممثل وينستون ديوك) وهو مفتول العضلات يمارس الملاكمة وصديقته الشرسة كيسي (الممثلة إيلزا شلسينجر) وبذلك سـوف تختلط الكوميديا بالتعقّب والرصـد بقصـص مافيـات المخـدّرات والجريمة.

وهذا الفيلم لا يضيف الكثير لا لمسيرة الممثل البارع مارك والبيرغ ولا لنوع أفلام الجريمة والمخـدّرات، وهو ما يتفق عليه أكثر النقاد، لكـن ذلك لا يمنعنا من القول إنـه من الأفـلام الممتعة التـي تجمع بين تهـوّر سبنسـر ودخوله فـي أيّ مجازفة حتى لو دمّرت حياته، فيما المهم بالنسبة إليه أن يقوم بما يجب في مقابل صديقته التي هي أشـدّ تهورا منه وفوضوية وقد منحت الفيلم الكثير من الطرافة.

يقـوم سبنسـر وفريقـه الكوميـدي بأعمـال التحـري، ويلتقـط أول الخيوط التي سـوف تقوده إلـى عصابة خطيرة تتاجـر فـي المخـدرات وتختـرق جهاز الشـرطة بالرشـوة والابتزاز، ووفق هذه الدرامـا الفيلمية الطريفة تقع المواجهات بين الجانبين.

إيقاع سريع

فـي المقابل هنالـك مسـاحة موازية للغوص فـي مجتمع الجريمـة والتدرّج في بث المعلومات عن ذلك العالم الغامض الذي لا يرحم من يقترب منه، لكن سبنسر سـوف يمضي في المهمة ويتعقب شاحنة محمّلة بالمخدرات فـي تحول درامي مهمّ سـوف يفتضح بسـببه عدد مـن ضباط الشرطة وأثرياء يقع في مقدمتهم بينتوود (الممثل جيمس دومونت) وضابط الشرطة المرتشـي دريسـكول (الممثـل بوكيـم ووباين)، ومن خلال هذه الشـبكة سـوف تقع المفاجآت والتحوّلات الدرامية.

أن يجـد سبنسـر أثـرا مـن زميلـه الشرطي والمحقق دريسـكول، فذلك ما لم يكـن في الحسـبان والتوقـع، فضلا عن شبكة أخرى حتى يتأكد سبنسر أن هناك من أفراد الشرطة من يقوم بعمليات إعدام بشـعة بالسـيوف والسـكاكين كما وقع لرئيسـهم بويلان الذي قـرروا التخلص منه.

لا شك أن متعة مثل هذه الدراما تكمن في كونها أكثر حيوية وواقعية، فبالنسبة إلى سبنسـر من نوع الشخصيات التي لا تتردد في ركـوب المخاطر بما في ذلك من تهوّر ورعونة ثم تكمل شخصيته صديقته الأكثر تهورا هي الأخرى، يضاف إلى ذلك الجانب الحسـي والإنسـاني الذي تمثل في خط درامي مـوازٍ من خلال التعاطف مع زوجة الشرطي الذّي قيل إنه انتحر.

وكالمعتـاد فـي مثـل هذا النـوع من الأفـلام هنالك حبكـة متوازنة فضلا عن بث المزيـد الحبكات الثانوية التي تمثلت في العثور على تسجيل للضابط المنتحر واعتراف زميل سبنسـر في السجن على مكان تواجد العصابة.

تميّـز هذا النـوع من الأفـلام أيضا بإيقاع سريع في الكثير من المشاهد ومن ذلك اسـتخدام القطع المونتاجي السريع أيضـا وذلك بحسـب متطلبات المشـاهد الفيلمية مع أن الأحداث في مجملها طغت عليها البسـاطة، فهذا الفيلم بصفة عامة ليـس من نوع الأفلام التي تبهرك بقدر ما توفر متعة في المشاهدة.

الفيلم تميز بإيقاع سريع في الكثير من المشاهد وباستخدام القطع المونتاجي السريع وذلك بحسب متطلبات المشاهد

الجمهور لا يثق بالمهرجانات

إلى ما قبل جائحة كورونا وحتى خلالها كان حديث المهرجانات السينمائية ومنظموها لا ينقطع، فالقوم يتحيّنون الفرصة للعودة بمهرجاناتهم إلى ما كانت عليه قبل ظهور الوباء.

لا شكّ أنها مهرجانات حيويّة وحدث لا يتكرّر إلا في كل عام وخاصة المهرجانات السينمائية العربية المعروفة، وهي مهرجانات تطرح نفسها على أن من صميم أهدافها النهوض بالسينما وتطويرها والتفاعل مع الجمهور الواسع ومناقشة القضايا الأكثر أهمية التي ترتبط بقطاع السينما.

وإذا توقفنا تحديدا عند نقطة محورية ربما يمكن أن تصاغ بصيغة سؤال وهو: إلى أي مدى ساهمت المهرجانات السينمائية في تطوير السينما أو الحركة السينمائية؟

وحتما سوف تأتي الإجابة من إدارة هذا المهرجان أو ذلك وهي إجابة متفائلة وسريعة، إنها تساهم فعليا في ذلك وأنها تدعم السينما وتدعم بضعة مشاريع سنويا وما إلى ذلك.

لكنّ ترويج إدارة المهرجان لنفسها وحده لا يكفي، فالقول إنها كانت أكثر قربا من الحياة السينمائية لا يترجم إلى دعوة الممثلات والممثلين والسجادة الحمراء التي تتحول غالبا في المهرجانات العربية إلى مكان لعرض الأزياء والتباهي بين الممثلات بثيابهن، فهل أن تلك ميزة للمهرجان؟

في استطلاع أجرته مؤخرا منصة "السينما في زمن كورونا" أجاب أكثر من 50 في المئة ممن تم استطلاع آرائهم من الجمهور العربي بأن المهرجانات السينمائية العربية لا تساهم لا في التطوير ولا في النهوض بالسينما وإنما هي تجمّعات موسمية حتى المدعوين إليها يتكرّرون في كل مرّة بنفس الوجوه وتغيب عنها غالبا الأجيال السينمائية الشابة وتتركز على جلب كمّ من الأفلام على حساب النوع وعلى حساب التجارب التي تمثّلها تلك الأفلام، وبذلك يقع الإخفاق حتى في عملية الانتقاء غير الجادة والمسترّعة والتي تفتقر إلى المهنية.

المهرجانات السينمائية العربية ما بعد كورونا عليها أن تعيد النظر في برامجها وأهدافها واختياراتها لتُرضي جمهورا عريضا لا يثق بها

تكمل ذلك ندوات استعراضية لا تثير قضايا إشكالية وتعنى بالاحتفاء بالنجوم أنفسهم الذين تم الاحتفاء بهم من قبل على السجادة الحمراء.

الحاصل أن المهرجانات السينمائية العربية ما بعد كورونا يراد لها أن تعيد النظر في برامجها وأهدافها واختياراتها لكي تُرضي جمهورا عريضا لا يثق بها وغير راض عنها.

* ط .ع

«سيسيل» فندق الموت المجاني في لوس أنجلس

من الشـخصيات إلـى المـكان تبحث السينما الوثائقية عميقا حول تلك الجدلية التي تكرس أيضا حالة حوارية قائمة على متعة الاكتشاف ومساحة المغامرة.

هنـا في هـذا الفيلم الـذي تم تأطيره في مشـهد جريمة بمعنى أنه منذ البداية أعلن عن نفسـه فيلما للتحري عن جريمة مـا، لكن الأمر هنا يتعـدى ذلك إلى صورة حياة ومجتمع وتاريخ للمكان.

في وسـط هـذه العلبـة الكونكريتية الضخمـة الجاثمـة في قلـب مدينة لوس أنجلس، ثانـي أكبر مدن الولايات المتحدة وواحدة من أكثرها ثراء هنالك حياة أخرى أشد قتامة وبشاعة مما نتصور.

فعلى مدّ البصر هنالك نجوم هوليوود يتمشـون على السـجادة الحمراء وهناك تجرى عقود إنتاج الأفلام وإطلاق النجوم والمشاهير، وهناك صالات القمار الشهيرة، بينمـا على الجهة الأخـرى ينتصب فندق ضخم، علبة مكانية جاثمة تعود إلى العام 1924 حيث افتتح ذلك الفندق المعروف بأنه فندق الـ700 غرفة.

ينشـغل المخرج جـو بيرلنغر في هذا الفيلـم الوثائقـي أو السلسـة الوثائقية، التـي هي أقرب إلى نـوع الفيلم الوثائقي الاسـتقصائي بالجغرافيـا المكانية التي تحتضن الحياة والموت في آن واحد وهما يتوازيان، وكذلـك الجنون والجريمة وكل سـوءات المجتمع وانحطـاط فئاته الأكثر هشاشة.

وكمثل سيرة أنظمة الفصل العنصري كان لا بد من فصل هذه البشاعة عن الحياة المخملية للمدينة، ولهذا يتم وضع حواجز تعـود دون زحف (الرعاع) من سـكان تلك البقعة المكانية الشاذة.

نحـن الآن فـي منطقة سـكيدرو وفي قلب ولاية لوس أنجلس، هذه المنطقة التي تعـدّ من أخطر المناطـق وأكثرها عنفا في الولايات المتحدة.

منـذ قـرن مـن الزمـن وهـذه البقعة المكانية ليسـت إلا ملاذا لـكل من تقطعت بهم السـبل وكل من يلفظهـم المجتمع من مشـرّدين ومدمنـين، يعـرض الفيلـم كل ذلك مسـتخدما روايات السـكان وضباط الشرطة والعاملين في فندق سيسيل.

هذا الفنـدق ما يلبـث أن يتحول إلى مـرآة حقيقيـة لحي سـكيدرو، هنا يمكث كهول إلى أمد مفتوح مقيمين فيه فضلا عن القتلة واللصوص والسـفّاحين ومتعاطي المخـدرات وسماسـرة الدعـارة وكل مـن يخطر ولا يخطر على البال.

والحـال أن تلك الإفـادات التي قرّبتنا أكثر من ذلك المكان قد كشفت عن عالم آخر لا يحكمـه رادع ولا قانـون، أما بالنسـبة إلى أولئك السـياح القادمـين إلى واحدة من أهم الوجهات السـياحية في الولايات المتحدة وأكثرها ازدهارا وهي مدينة لوس أنجلس، فسوف يقودهم حظهم العاثر إلى فندق "سيسيل" فيما هم يبحثون عن فندق مناسب في قلب لوس أنجلس، وهو ما وقع للفتاة الشـابة إليسا لام التي ما إن دخلت ذلك المكان قادمة من كندا لغرض السياحة حتـى اختفت هناك وانقطعت آثارها حتى يصبح البحث البوليسـي عنها هو محور هذا الفيلم ولندخل في دوامة من المغامرات والمجهول.

وثيقة بالغة الأهمية محمّلة بالرسائل الإنسانية والأصداء المأساوية التي تتردد في جنبات مكان شديد الغرابة

يروي سائحان إنجليزيان قصّتهما مع هذا الفندق الذي اختاراه لقضاء إجازتهما في لـوس أنجلـس، همـا مجـرّد مثالين للمئـات ممن مـرّوا بهذا الهيـكل المكاني الرهيـب دون أن يعلمـا بأن هناك أناسـا في الطوابق والغرف الأخرى، إما يموتون بسـبب جرعات عالية مـن المخدرات وإما يقتلون بسكّين أو رميا من النافذة، لكنّهما يشكوان من رداءة الماء الذي يستحمّان به أو يشـربانه، لنكتشف في ما بعد أن جسد الشـابة إليسا لام طاف في إحدى خزانات المياه في سطح الفندق الشاهق.

الصدمـة التـي عمّقـت تراجيديا ما يجري في فندق سيسـيل دفعت إلى المزيد مـن التحقق في تلـك الفوضى البشـرية العارمة التي يعجز عن السيطرة عليها أي عرف أو قانون أو سلطة.

ينجح المخرج بشـكل متميّز في تقديم وثيقـة بالغـة الأهمية محمّلة بالرسـائل الإنسـانية والأصـداء المأسـاوية التـي تتـردد في جنبات ذلك الهيكل الكونكريتي شديد البشاعة الذي ما انفك يمتص حياة أناس أبرياء ويقدم إلى السـطح شـريحة أخرى هامشـية وغارقة في المأساة وحيث اللامبـالاة التـي كانت ظاهـرة على وجه مديرة الفندق كأنها قاسم مشترك لسلطات وجهـات نفعية لا تزال تتفرّج على الكارثة بلامبالاة أيضا.

* ط .ع

مبنى يخفي حكايات مريبة